

دلائل الإعجاز

معجزة كلِّ نبيٍّ فيما كان أـغلبَ على الذين بُعِثَ فيهم وفيما كانوا يتباهونَ به وكانت عوامٌ هُم تعظّمُ به خواصّهم . قالوا : إنه لمّا كان السحرُ الغالبَ على قومِ فرعونَ ولم يكنْ قد استحكّم في زمانٍ استحكّمه في زمانه جعل تعالى مُعجزةَ موسى عليه السلام في إبطاله وتوهينه . ولمّا كان الغالبَ على زمانِ عيسى عليه السلام الطبُّ جعل اﷻ تعالى مُعجزته في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى . ولما انتهوا إلى ذكرِ نبيّنا محمّدٍ وذِكْرِهِ ما كان الغالبَ على زمانه لم يذكروا إلا البلاغةَ والبيانَ والتّصريفَ في ضروب النظم .

وقد ذكرتُ في الذي تقدمَ عينَ ما ذكرته هاهنا مما يدلُّ على سقوطِ هذا القول . وما دعاني إلى إعادة ذكره إلا أنه ليس تهالكُ الناسِ في حديث اللفظ والمحاماةُ على الاعتقاد الذي اعتدوه فيه وضنُّ أنفسهم به إلى حدٍّ . فأحبتُ لذلك أن لا أدع شيئاً ممّا يجوزُ أن يتعلّقَ به متعلّقٌ ويلجأَ إليه لاجءٌ ويقعَ منه في زَفْسٍ سامعٍ شكٌّ إلا استقصيتُ في الكشْفِ عن بطلانه .

وهاهنا أمرٌ عجيبٌ وهو أنّه معلومٌ لكلِّ من نظر أن الألفاظ من حَيثُ هي ألفاظٌ وكلامٌ ونطقٌ لسانٍ لا تختصُّ بواحدٍ دونَ آخر وأنها إنما تختصُّ إذا تُؤخِّرُ فيها النظمُ . وإذا كان كذلك كان مَن رفع النظمَ من البين وجعلَ الإعجازَ بجُمْلته في سهولةِ الحروفِ وجريانها جاعلاً له فيما لا يصحُّ إضافتهُ إلى اﷻ تعالى وكفَى بهذا دليلاً على عدمِ التوفيقِ وشدّةِ الضلالِ عن الطريق .

فصل فيه إجمال وعظة .

قد بلغنا في مداواة الناسِ من داءهم وعلاجِ الفسادِ الذي عرضَ في آرائهم كلِّ مبلغٍ وانتهينا إلى كلِّ غايةٍ وأخذنا بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسّفون فيها إلى السّننِ اللّاحِبِ ونقلناهم عن الآجنِ المطروقِ إلى النّميرِ الذي يشفي غليلَ الشاربِ . ولم